

# أُسْبُقِيَّةُ الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى عَلَى الْعَامِيَّةِ

تَحْقِيقٌ وَتَرْجُمَةٌ الدُّكْتُورُ خَلِيلُ سَمْعَانَ  
أَسَازٌ فِي جَامِعَةِ وِلايَةِ نِيُورُوكِ  
(بَنَغْمَتِنِ)

نشر فيما يلي نبذة في ابطال رأي القائلين بترك اللغة العربية الصحيحة واستبدال اللغة العامية بها في الكتب والكتابة لأمين فكري بك احد اعضاء الوفد العلمي المصري بمؤتمر السويد والنرويج ورئيس النيابة العامة بمحكمة مصر الابتدائية الاهلية سابقا وتجدون النص الانجليزي في مكان آخر :

الانسان ، او حاجياته ، او كمالاته ، ولهم ان يستعملوها كتابة ، وتأليفا ، كما يستعملونها (20) نطقا اما اللغة فهي من البعد عنهم بحيث لا تصلح للتفاهم بينهم في ضرب من ضروب المعاني ، اللهم الا اذا انفقوا في تعلمها ازمانا طويلا ، وبذلوا في دراستها ما استطاعوا من جهد وقوة .

وبنوا على ذلك ان اختصاص العلوم ، والاداب (25) وفنون الصنائع ، واصول الشرائع ، ونحو ذلك ، باللغة الفصيحة مما يقضى على اهل اللغة العربية بالحرمان من التقدم في معارفهم وآدابهم بجميع انواعها.

وقد قال بعض مشاهير السياسة ، في الكلام على مصر ، ما نصه : « وأخال ان أمل التقدم ضعيف (30) ما دامت العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية ، لغة القرآن ، كما في الوقت الحاضر ، بدل ان تتعلم اللغة العربية المستعملة ، لان نسبة اللغة المصرية الى لغة القرآن كنسبة الايطالياني اللى اللاتيني والافريقي الحديث الى الافريقي القديم . وعربية الفلاح لغة قائمة (35) بنفسها ، وقواعدها خاصة بها . واذا لم تؤخذ هذه الاحتياطات الواجبة

ذهب بعض الناظرين في اللغات الشرقية ، من رجال اوروبا ، الى ان اللغة العربية المستعملة للتخاطب اليوم ، في البلاد التي يتكلم فيها باللسان العربي ، قد صارت في غاية البعد عن اللغة العربية الفصيحة الاصلية ، حتى صح ان تعد (5) كل منهما لغة مستقلة عن الاخرى ، بحيث لو فرض ان اتى الى جهة يتكلم اهلها باللغة المستعملة الآن ، كمصير وسوريا ، من لا يعرف الا اللغة الفصحى ، لم يمكن ان يفهموا منه ، او يفهم منهم ، الا بعد طول المعاشرة والمخالطة .

قالوا : وغاية ما يمكن لقائل ان يقول ، في النسبة (10) بين اللغة العامية المستعملة بين العرب وبين اللغة العربية الفصيحة ، هو ان اللغة العربية الفصيحة اصل لهذه اللغة العامية ، وان هذه فرع تلك ، كما يقال ان اللغة اللاتينية اصل للغة الطليانية ، وان هذه فرع تلك . ثم رأى اهل هذا المذهب ان اللغة العامية وافية بحاجات (15) في التفاهم ، ولهم ان يستعملوها في جميع انواع المعاني ، عالية ودانية ، علمية ، وادبية ، وصناعية ، وشرعية ، وسياسية ، وبالجملة في كل ما يراد من معنى له مكان من ضروريات

ذلك البلد ، يكون بعينه ، أو أكثر ، في مصرى ذهب الي بلاد المغرب الاقصى أو الجزائر أو سورية ، وهكذا من يجيء من تلك الجهات الي مصر ، اذا كان لم يدخل المكاتب ، ولم يسبق له مخالطة اهل البلاد التسي جاءها .

(70) مانا لا نشك في انك اذا تلت لمصرى عامى ( كيف حالك ) باللغة الفصحى ، من غير لحن ، تجده يفهم من هذه العبارة ما أردت ، بخلاف ما اذا قال له المغربى ( اشنك ) أو ( آشناتيا ) . وكذلك فهم المغربى العامى ، اذا تلت له ( كيف حالك ) ، اسهل من فهمه لقول (75) العامى المصرى ( ازيك ) . وهكذا يفهم المصرى قول العربى الفصحى ( ما هو ) بخلاف قول المغربى ( آشنوا ) أو ( شيهو ) ، أو قول السوري ( شكلوا ) . وكذلك يفهم المغربى والسوري من قولك ( ما هو ) أكثر من قول المصرى ( ايه هو ) أو ( هوا ايه ) . (80) وكذلك قولك للمصرى ( هذا الوقت ) اسهل عليه فهما من قول المغربى ( توا ) أو ( دروق ) أو ( دروك ) ، أو قول النابلسى ( هالقيت ) ، وقول البيروتى ( هلا ) ، بتفخيم اللام ، والطرابلسى ( هلا ) بترقيتها . وقولك ( عمامه ) اسهل عليه من قول المغربى (85) ( كسطه ) ، أو الشامى ( لفه ) ، فانه لا يفهم اللغة الا بمعنى الثوب الذي يلف فيه الطفل الصغير هو رضيع غير مفصل عليه . وقولك ( النعل ) أو ( النعال ) اسهل من قول المغربى ( الصباط ) ، و ( كثير ) اسهل من قوله ( ياسر ) أو ( بالزاف ) ، ( والعطفه ) (90) اسهل من ( الزنقة ) ، و ( سفينه ) اسهل من ( شقف ) أو ( شقفوف ) ، و ( رواق ) اسهل من ( برطال ) . وقولك ( امضاء ) اسهل من قوله ( خنفوسه ) ، وقولك ( امضيت الكتاب ) (95) اسهل من ( خنفتت الكتاب ) و ( الكتاب مخنفس ) . وقولك ( هل عندك ساعه ) اسهل من قول المغربى

للحصول على النتائج الفعلية من المدارس المتعددة التهذيبية ، لاستمر الجيل الجديد كسابقه ، غير صالح لخدمة وطنه ، سواء كان في القيادة العسكرية ، أو في الصنائع ، أو في الخدم العامة ، (40) وتظل عبارة « مصر للمصريين » ، كما كانت ، أسما بلا مسمى » انتهى كلامه . وبالجملة قد قالوا ان الامة العربية ، اذا بقيت علومها وآدابها مخترنة في العبارات الفصيحة ، كانت كأنها في لغة أخرى غير العربية . ولا يصل آحاد الامة الى حاجة من ذلك الا بعد ان (45) يصرف الجزء الاهم من عمره في تحصيل اللغة . فلو ان العلوم نقلت الى اللغة العامية ، وهي لغة الاب والام وجميع الخطاء ، يتعلمها الصبي كما يتعلم المشى والاكل والشرب ، لكان عنده من فضل الزمن ما يصرفه في تحصيل تلك العلوم وهو في اوائل الصبا (50) ، وكان الزمن الذي يستغرقه في تعلم اللغة الفصيحة محفوظا للتوسع في العلوم والآداب ، وبذلك يسهل تعميم الفنون اللازمة لحاجات الامة وبثها في نفس جميع آحادها بدون استثناء . فان اغفلت هذه الوسيلة لم يوجد سبيل لتعميم الفنون (55) ، ولا لتحسين التربية العامة . وهكذا لج هذا الوهم باربابه حتى كاد يلتحق بالآراء المعتد بها .

اما نحن فنخالفهم ونذهب غير مذهبه لوجوه :

الاول ، ان ما يجدونه من الصعوبة في اختصاص اللغة الفصيحة بالعلوم والفنون ، واستثارتها بالكتابة (60) ، سيجدونه في نقل العلوم الى اللغة العامية ، بل يجدون في الثانى ما هو اشد من الاول .

فان اللغة العامية تختلف باختلاف الاقطار والبلاد ، بما لا ينقص عن الاختلاف بين العامى والفصحى ، بل ربما زاد . فان جميع ما قالوه في صاحب اللغة الفصيحة اذا (65) ورد الى بلد من بلاد العرب التي يتكلم فيها باللغة العامية ، وحاله مع اهل

الاستاذ الخالدي ، المشار اليه ، وكان يلازمنا ايام  
مقامنا بدمشق ، في كل آن ومكان . فقد جمع بيننا وبينه  
من اللغة الصحيحة ما لم تجمه اللغة العامية بيننا  
وبين العامي البحث ، وما ذاك الا لان لغتنا العامية  
المصرية غير لغتهم العامية الشامية .

(130) واتفق في سفرنا هذا ، الى هذه البلاد ،  
اني دخلت ايام مكثنا بمدينة باريس ، عاصمة بلاد  
فرنسا ، الى احد محال التجارة بها وهو المعروف  
بمخزن اللوفر ، مع السيد الوالد المشار اليه ،  
ورفقتنا بهذا الحفل النبيل ، من مصر فلقينا هناك ،  
بحكم الاتفاق (135) من غير قصد ، رجل من باعة  
البضاعة بذلك ، سبق له اقامة (2) مدة مديدة  
في بلاد الجزائر ، حتى اعتاد التكلم باللغة العامية  
المتداولة بها كاهلها ، فلما توسم في زي ملابسنا اننا من  
اهل اللغة العربية ، وتحقق ذلك بالسؤال منا ،  
وهو (140) انما يعرف من اللغة العامية المغربية ما  
عرفه ببلاد الجزائر ، اخذ يتكلم معنا بتلك اللغة مع  
طلاقة وذلاقة لسان . غير أن كثيرا من كلامه كان  
يستعجم علينا فما يفهم منا الا رفقنا الشيخ حمزة ،  
وكذا كلامنا بالنسبة للرجل (145) حتى يفهمه الشيخ  
الموما اليه . وذلك لان الشيخ اقام سنين من عمره في  
بلاد المغرب وتونس ، فكان يترجم بيننا وبين الرجل  
الى ان جاءت النوبة الى شراء ما يختص بسى ،  
ورايت التفاهم بينى وبين الرجل  
لا يتيسر الا بواسطة ترجمة الشيخ . (150) فوجدت  
الاقرب تناولا والاقبل زمنا ، ان يكلمنى بلغته الفرنساوية ،  
ورجوته في ذلك ، فاجاب ، وسهل تعاطي الكلام بينى  
وبينه ، فكانت اللغة الفرنساوية الاصلية بالنسبة له ،

( ثماش منقوله ) ( 1 ) . وتوكل ( كم الساعة ) اسهل  
عليه من قول المغربي ( قداس التعديل ) . (100)  
و ( حمص ) اسهل عليه من قول الشامي ( اضامة ) ،  
وهكذا مما يطول ايراده ولا ينحصر تعداده .

وليس مرادنا هنا الترجيح بين لغة من اللغات  
العامية وغيرها ، بأن نقول ان المصرية اسهل او  
ارجح من السورية او المغربية مثلا ، او احدهما  
اسهل (105) او ارجح من المصرية : بل اردنا ان نبين  
ان اللغة الفصيحة ، بعد ان يجتنب منها ( في تعليم  
الفنون والصنائع ) الغريب وغير المألوف استعماله ،  
هى بالنسبة لكل واحد من ذوي اللغات العامية  
المختلفة اسهل واكثر تناولا من اللغة الخاصة (110)  
بغيره ممن لم يخالطه . واللفظ العربي الفصيح ،  
بالنسبة للعامي المصري ، اقرب من العامية المغربية  
والسورية ، وبالنسبة للعامي المغربي اقرب من  
العامية المصرية والسورية ، وبالنسبة للسوري  
اقرب من العامية المصرية والمغربية ، لما (115) يترق  
آذان الجميع من سماع الفاظ القرآن ، والحديث ،  
والمواعظ ، وغير ذلك مما يعم الجميع كما سيأتى .

وقد ائتمق لي من نحو سنتين ، انني جلست في بعض  
بلاد الشام ، مع سيدي الوالد ، فلقينا كثير من فضلاء  
نبلائها ، ونجباء ادبائها ، منهم الفاضل الشهير ،  
الشيخ عبد المجيد افندي الخاني ، الخالدي ، النقشبندى  
فكنا نفهم منهم ويفهمون منا بالسهولة ، بخلافنا في  
التكلم مع العامة ، السوقة ، فكثيرا ما كانوا لا سيما  
اذا اسرعوا في التكلم يستغلق بيننا وبينهم الكلام ،  
وينسد الباب دون فهم المرام ، حتى يترجم (120) لنا

( 1 ) قوله ( منقوله ) - هذه القاف تقرا عندهم كالكاف في نطق اهل القاهرة اى  
غير معطشة . وانظر ما يكتب به مثل هذه القاف اذا اريد نقل الكتابة الى اللغة العامية - اکتسب  
بالقاف وهي لا ينطق بها كالكاف المعروفة في قراءة القرآن فيلزم تمييزها عنها ؟ ام تكتب بالميم فيلزم  
تمييزها عن الميم الحقيقية ؟ والا كيف يتميز مثل قولنا ( قد ) اذا كتبت بالميم من قولنا ( جده ) ؟  
ومثل هذا كثير جدا .  
( 2 ) هكذا في النص .

كالجيم التركية والفارسية ينطق بها بين الجيم والشين العربيتين ، كما عرفته من نطق بعضهم ) ، أو لم يعرف المغربي ما سبق من كلام كل من الشامي والمصري . فأين يجد الواحد منهم بغيته (185) اذا جاء الى احد هؤلاء كتاب في غير لغته العامية ، فيه شيء من ذلك ، وربما لم يكن في بلده ، أو بلدة تربية منها ، احد من اهل تلك اللغة ، ولا معرفة بها عنده ، ولا في شيء من كتب اللغة يجد تصده ؟

فأذا كنت مثلا في قرية من قرى مصر ، من غير مراكزها (190) المختلطة بها أصناف الامم ، مشتغلا بزراعة أو غيرها ، واتانى كتاب من احد اصحابي في الشام ، أو في الغرب ، (1) على لغته ، وفيه ما لا اعرف ، فماذا اصنع ؟ اهمله بالكلية ، وربما كان في حاجة ضرورية مهمة ، ام اسافر الى موضع اجد فيه من يفهمنى ذلك ولو كنت في اقصى (195) الصعيد ، ام ابعث به الى عارف اللغتين ، يترجمه كما تترجم اللغات الاجنبية ؟ فقد أصبح كل منا ، اذا تركنا اللغة الصحيحة الجامعة بالكلية ( لا قدر الله ) ، اجنبيا عن الآخر من ذوى لغته وبنى جلدته ، بعد ان كان بيننا جامعة اللغة . هذا ، ومما قدمناه (200) من اختلاف اللغة ، انه قد يوجد في احدى اللغات العامية ما يخاله من ليس يعرفه شتما أو عيبا . مما يستحى منه ، بالنظر الى لغته ، وقد وقع من ذلك ، لكثير من الناس ، ما لا يحصى . فما ظنك بمصري نزل بالشام ، في دار وتعهدت له شامية أو شامي بعمل الاكل ، فقال المصري (205) ماذا آكل ؟ فقيل له : ( كبسه ) - والكبة في العامية المصرية مما يستعمل في فطير الدعاء على الغير ، اذ هو فيها الخراج الطاعوني ، والعياذ بالله تعالى . وفي امثالهم العامية : ( سنة الكبة يدلع لمخط ) ، يضرب لمن يعجب بنفسه وهو حقير ، لدى عدم وجود من يعتد به ، كقول القائل (210) « خلت البقاع من الرخاخ ففتفرزنت فيها البيادق » .

الطارئة بالنسبة لي ، اقرب لي تناولا من اللغة المغربية العامية ، لمكان (155) التباعد بينها وبين العامية المصرية . وكذا كان الحال مع من لقيناه غير هذا الرجل ، من اهل المغرب ، من الحديثي المعهد بالاتامة في بلادنا ، لاسيما ان كان من اهل المغرب الاقصى . فان اللغة العربية المغربية تكاد ان تكون بالنسبة لنا رطانة اجنبية ، اللهم الا (160) ان تكلم باللفظة الصحيحة ، فان فهمها حتى بالنسبة الى العامي منا اقرب من تلك بكثير .

وأخبرني السيد الوالد ، ابقاه الله ، انه لما سافر الى البلاد الحجازية ، لاداء فريضة الحج ، كان فهمه لكلام اهلها ، بل اعراب باديتها ، اترب واسهل مما مر (165) بكثير جدا ، لقربه الى اللغة النصيحة . وقد تستغرب الكلمة في استعمال احدهم فيرجع اليها من يستغربها في كتب اللغة ، كالتاموس ، فتوجد نصا ، مثل لفظ « الضلع » بمعنى ( جانب الجبل ) . قال : وقد سبالت عاميا من اعراب البادية هناك عن معنى « الضلع » فقال : « الضلع ضلع الجبل » (170) وأشار اليه ، « و ضلع الانسان » ، وأشار الى ضلع نفسه . فلما وافقت لغتهم العامية صحيح اللغة العربية في البعض ، وقربت منه في البعض ، سهل فهم ما وافق المستعمل في لسان العامة ، ووجود غير المستعمل فيه بكتب اللغة .

بخلاف ما اذا لم يفهم المصري مثلا قول الشامي (175) في عاميته الشامية ، ( قالمشين ) ، أو ( قلمباز ) ، أو ( منتان ) ، أو لم يفهم الشامي قول المصري ، في عاميته المصرية ، ( شراب ) ، أو ( قفطان ) ، أو ( عنترى ) ، بمعنى الثلاثة المتقدمة على ترتيبها ، أو لم يفهم كلاهما من المغربي ، قوله في عاميته المغربية ، ( سبنيه ) ، بمعنى منديل (180) و ( سقلي ) ، اذا كان مثغولا بالفضة ، و ( جامير ) ، بمعنى تميص ( وهو بجيم

(1) يقصد « المغرب » .

والكبة ، في عامية سورية ، طعام معروف لدى أهلها ، من أطيب ما يستلذ عندهم . وإذا قال المصري للمغربي : ( بص ) ، فهي عند المصري بمعنى ( انظر ) ، وعند المغربي من المعاني المستهجنة للغاية .

(215) وكثيرا ما توجد في عامية بعض الجهات الفاظ تعد عند غير أهل الجهة سخفا ومحشا ، بل من أنحش السخف ، وهي عند أهلها معروفة بالوفة ، ليست في شيء من ذلك ، لا تستحي منها العذراء في خدرها .

وقد اتفق لي من ذلك يوم دخلنا القدس في السياحة (220) الشامية ، ان سألت امرأة صادفتها في الطريق عن موضع هناك ، وهو الفندق الذي نزلناه ، وكنت قد اشتبه على الطريق إليه . فارادت ان تقول ما معناه ( ها هو هناك ) . فاشارت الى موضع الفندق ، وقالت كلمتين ارادت بهما ذلك المعنى ، يقضي بسببها الوهم (225) ممن لم يالف تلك اللفة ، اول وهلة ، ان المرأة من فواحش الفواجر المتهتكات . فعجبت ممن جهرها بذلك الكلام ، على قارعة الطريق ، بمسمع غيرها من فتيات من النساء . وكنت رايتها متقدمة في السن ، وذلك مما حملني على اختصاصها بالمخاطبة والسؤال ، خيفة ما قد يلحق الغريب (230) من الظنة . فتأملت ثانيا ، لما استغربت ذلك منها ، فاذا هي كما رايت اولاً ، مسنة عليها سميت وقار وسمة كمال ، وهي في أبعد حال مما كان قد ذهب إليه الوهم وسوء الفهم . فلما تكرر سماع ذلك من بعض الفتيات ، بعد هذه المرة ، لم أجد سبيلا لسوء الظن (235) ولا أريد ان اصرح بأمثال ذلك ، وفي هذا كفاية لمن شاء ، ومن اراد ذلك فربما وقع له ، اذا تجاذب الكلام مع من لم يسبق له وفادة على مصر ، وجرت المناسبة الى ما هو من هذا القبيل . وكل ما ذكرناه هو بالنسبة للحال الحاضرة اليوم . اما لو نقلنا الكلام الى ما قبل

( 1 ) الاصح « يميز »

عشرين (240) سنة ، مثلا ، لتقيس عليه ما بعد مثل هذه الهدة ، لكان الامر اكبر ، لما تراه في العامية من التبدل والتغير بتغير الاعصار وعدم الثبات والاستقرار .

فلو فرضنا الكلام في سوري مثلا جاء الى مصر ، او مصري ذهب الى سورية ، قبل نحو تلك المدة ، لوجدنا المصري (245) لا يفهم من السوري ولا كلمة واحدة . فان المصري لو سمع من امرأة سورية ، او رجل سوري ، من ذوي السن ، ممن لم يدخل المكاتب ، هذه العبارة ، وهي : ( سلكت الحثيم آل لي ال اينا ) ، لم يفهم ماذا يريد منها ، والمراد ( سألت الحكيم قال لي كل كينا ) . بل لو سمع (250) شاب مصري شابا سوريا ، من أهل بيروت ، يقول اليوم ( وعات على اجري ) ، لم يفهم ماذا يريد ، ومراده ( وقعت على رجلي ) . وكذلك لو قال السوري للمصري : ( انظرني هلا ويجي ) ، لم يفهم منه انه يقول ( انتظرني حالا اجي ) . ولو اراد احد احصاء ذلك ، يلزمه ان يكتب سفرا (255) كبيرا ، هو قاموس اللغتين السورية قبل عشرين سنة مع بعض السورية اليوم والمصرية اليوم . فمن اراد نقل العلوم والآداب من اللغة الفصحى الى اللغة العامية ، لزمه ان يحول (1) بين السوريين والمصريين والبغداديين والتونسيين والمراكشيين وغيرهم (260) ممن يتكلم باللسان العربي ، ويجعل لكل فئة منهم لغة خاصة بهم في معارفهم وعلومهم وآدابهم . ويصبح المصري ، اذا كتب كتابا ، لا يفهمه السوري . والسوري ، اذا كتب كتابا ، لا يفهمه المصري . وهكذا سائر الاقوام العربية ، يفقد العرب ما عساه يكون بينهم من التعاون (265) على العلم والادب ، ويصيرون الى حال من الفرقة أشنع مما هم فيه اليوم . بل من دقق النظر في احوال البلاد العربية ، يجد ان البلاد المصرية نفسها ، يختلف بعضها عن بعض ، بما لا يقل عن الاختلاف بين العامة وأهل

الفصيحة الصحيحة . فان أهل (270) الصعيد الاعلى يستعملون من الالفاظ وضروب التعبير ما لا يفهمه أهل البحيرة ، بل لأهل مديرية الشرقية ، مثلا ، من الالفاظ ما لا يفهمه أهل مديرية الدقهلية الملاصقة لها ، الا من تكرر سماعه لها ، بل لأهل المديرية الواحدة ، في بعض البلاد ، الفاظ تخالف ما هو مستعمل (275) ، في معناها بالبعض الآخر ، وللعربان كذلك . وهكذا نجد في سائر البلاد العربية ، في ما نعلم ، ولا نطيل في ايراد الامثلة والشواهد على ذلك فوق ما مر . فمن اراد نقل العلم الى اللغة العامية لزمه ان يفرق بين أهل الاتالم في معارفهم وآدابهم وبعاد (1) بين افكارهم . وانقلبت الامة بسعيه (280) الى أمم مختلفة ، لا يفهم الامراد من احداها ما يقول الامراد من الاخرى ، وهم أهل شريعة واحدة ، وفي سلطان حاكم واحد ، وكل واحد منهم في حاجة الى معونة الآخر في اقل الضروريات وأجلها . فان قال أهل ذلك المذهب : اننا نضع كتابا يحتوي على جميع اللغات العامية ، (285) في الاقطار العربية ، او يحتوي جميع الالفاظ المصرية ، مثلا ، مرتبة على الحروف والابواب ، ويعين فيه لغة كل ناحية من النواحي ، وتفسر بمفاهيم لغات سائر النواحي ، فاذا عثر احد من أهل الغربية ، مثلا ، على لفظ في كتاب لاحد من أهل جهة اخرى ، راجع ذلك الكتاب حتى يفهم مراده .

(290) قلنا : لو تسنى ذلك لنا بالفرض ، لم يكن ذلك باسهل من مراجعة الكتب اللغوية التي بايدينا اليوم ، على اننا اذا اقتصرنا في كتبنا الصناعية والفنية ، التي يحتاج اليها عامة الناس ، على الموائق للاستعمال الحالي ، والقريب اليه من العربي الصحيح ، وتركنا القريب والبعيد عن المستعمل ، (295) لسهل الامر

(1) الاصح « وما بعد »

(2) الاصح « الثمام » - ر. البكري : فصل المقال ( خرطوم 1958 ) ، 276 ؛ العسكري : جمهرة الامثال ، 257 ، 2 ؛ الزمخشري : مستقصى ، 2 ، 387 رقم 1422 ؛ الثعالبي : ثبات القلوب ، 1326 ، 373 ، 2 ؛ النويري : نهاية ، 3 ، 55 . . . . ادين المستشرق الدكتور انطون شبيتالر ، جامعة مونيخ ، بفضل كبير لتلطفه بمساعدتي على حل هذه المقدمة الفلولوجية وتوجيهي الى المصادر المشار اليها اعلاه .

جدا : كأن نستعمل في تلك المؤلفات بدل لفظ (اللجين) ، مثلا ، لفظ « الفضة » بمعناه ، فان الثاني ، مع كونه لفظا صحيحا فصيحاً ، في هذا المعنى ، هو كما تراه تريب من اللفظ العامي المستعمل ، لا فرق بينهما الا كسر الفاء في الصحيح ، وفتحها في العامي ، فلهذا يفهمه العامي وغيره (300) بخلاف الاول ، ولذا ندعه ونستعمل الثاني ، وكذا نستعمل بدل لفظ ( المسجد ) مثلا ، لفظ « الذهب » ، لتريب الثاني من اللفظ العامي ، لا يفرق بينهما الا بالذال منقوطة في الصحيح . والذال غير منقوطة في العامي ، فلهاذا لا يتعسر فهمه . وهكذا ، ومن هذا القبيل ، ما تصدناه (305) على سبيل التمثيل من استعمال كلمتي « المنقوطة » و « غير المنقوطة » ، في هذه العبارة : بدل لفظتي « المعجزة » و « البهلة » الغالبتين في المؤلفات ، ولم نراع هذه الطريقة في كل ما كتبناه هنا ، لاننا نكتب للخواص لا للعوام . فاذا اعتنينا برعاية ما ذكرناه ، اعنى الاقتصار في المؤلفات التي يحتاج اليها (310) عامة الناس . كما ذكر ، لا خاصتهم ، على مألوف الاستعمال . لم يبق من حاجة غالبا الى مراجعة الكتب اللغوية . الا بالنسبة لمن نصب نفسه للتبحر في معرفة مفردات اللغة وعلومها ، من العلماء والادباء ، ومن يريد للحاق بهم . والترقي درجات البلاغة الى (315) درجاتهم ، وما ذاك بمتمين على عامة الناس ، ولا تدعو اليه ضرورة بالنسبة اليهم ومن اراده ، ممن تسمو به نفسه عن تلك الطبقة ، للتوسل به الى علوم التفسير ونحوها واجادة صناعة النظم والنثر وما يتعلق بها ، وجد الكتب التي يحتاج (320) اليها في ذلك حاضرة ، والطريق مسلوكة ، والطريقة سهلة ، والمرام على طرف التمام (2) بخلاف ما لو تركنا الطريقة العربية في النطق والمكاتبة

والتأليف كليا ، وهجرناها مليا ، فان ذلك تندثر به تلك الكتب وتناسى ، ويضمحل امرها ويتلاشى ، (325) ويتداول الزمن ، يصبح الوصول الى ذلك المراد اصعب من خراط القتاد . على ان العمل في جمع متفرق اللغات العامية ، وتمييزها ، مما يصعب نجاحه كل الصعوبة . فان واضح مثل ذلك الكتاب الجامع ، لا يصل الى الغرض منه ، حتى يخالط أهل كل اقليم (330) بل كل ناحية ، ويسمع كلامهم في جميع المقاصد والاغراض ، ليتسنى له بذلك الاحاطة بجميع اللفاظ . وهذا يستغرق من الزمن والنفقة ، ما لو صرف بعضه في حمل الناس على التكلم بالفصح ، لاتي بالغرض المطلوب ، على اتم وجه واكمله .

(335) هذا كله اذا قصرنا النظر على مفردات اللغة العامية ، وما يوجد بينها من الاختلاف الفاحش . فان نظرنا الى هينات التراكيب ، التي تختلف ايضا باختلاف الاقطار والنواحي ، لاحتجنا الى من نحو خاص بكل قطر ، او بكل ناحية ، ولكان على العربي منا (340) ان يتعلم كل نحو وضع لكل لفظة ، حتى يتمكن من فهم ما يكتب في اللغة العامية ، من أي بلد من بلاد العرب ، وهذا يكلفنا من المشقات اضعاف ما يكلفنا تعلم نحو اللغة العربية الفصيحة . ونحتاج ايضا الى وضع علم لرسم كلمات هذه اللغة العامية ، لتكون (345) كتابة كل جهة جارية على اصول مضيوبة ، وطريقة واحدة ، والا صار كل واحد من افراد الناس ، يكتب بهوى نفسه ، على حسب ما يعين له ، من غير قاعدة مقررة ، ولا قانون ضابط . فمثل ( اللى ) ، في العامية ، بمعنى ( السذي ) في الصحيحة : هل تكتب (350) بلام واحدة ، مثل ما يكتب ( على ) في اللغة الصحيحة ، بلام واحدة مشددة ، جريا على قاعدة الادغام المرعية عند اربابها في النطق

والرسم ، ام تكتب « اللى » بلامين ، بناء على ان تلك القاعدة خاصة باللغة العربية الصحيحة لا غيرها ، كما تكتب ( قللي ) (355) من اللغة التركية ، بمعنى « ذي شعر » بلامين ، و ( اللى ) ايضا ، بمعنى « خمسين » ، بلامين كذلك ، لعدم رعاية الادغام عندهم ، واختصاصه باللغة العربية الاصلية الصحيحة ؟ ومثل ( قل لي المحرفة من قال لي ) ، هل تكتب بلام واحدة مشددة ، ام تكتب (360) بلامين متصلين ، او منفصلين ؟ وعلى كل هل تكتب بألف بين القاف واللام ، على الاصل ، للتفرقة بينها وبين ( قل لي ) المركبة من فعل امر وجار ومجرور ؟ ام هل تترك الالف من الرسم ، لسقوطها في النطق ؟ وعلى كل تكتب (1) بالهمزة بدل القاف ، ( ال لي ) (365) او ( آل لي ) ( الي ) ؟ او غير ذلك . ثم على كل هل تكتب بالهمزة في اولها ، بدل القاف ، لان النطق بها كذلك في العامية ، في بعض البلاد ، مثل القاهرة ، او بالقاف الحقيقية ، لان النطق بها كذلك ، في بلاد آخر كرشيد ؟ او تكتب بالجيم ، رعاية لحال النطق بها في بعض (2) آخر كالصعيد (370) لان اهله ينطقون بها بما يشبه جيبا غير معطشة ، كالجيم العامية المعتادة في القاهرة ؟ او تكتب بالقاف ، ويرمز لها بما يميزها عن القاف الحقيقية ، او بالجيم مرموزا لها بما يميزها عن المعطشة ؟ او يوضع لها حرف جديد ؟ وبالجمله يلزم وضع علم للرسم في هذه (375) اللغة العامية ، اذا نقلنا اليها الكتابة والفنون ، لتحدد الكتابة فيها ، والا انتشر في كتابتها الخلاف ، وعمل كل برايه وعلى حسب ما يراه الصواب . ويتسع الاختلاف كثيرا في رسم الكلمة الواحدة في بلدين ، مثلا ، بل في بلد واحد ، بحسب اختلاف الانظار فيها هو (380) الصواب في الرسم ، وهلم جرا ، الي سائر ما يلزمنا استحدائه من الفنون ، لنقل التأليف والكتابة الى اللغة العامية . وبعد هذا كله نرجع ونقول ان الزمن الذي

(1) الأصح « أتكتب »

(2) الأصح « بعض بلاد الصعيد »

بأطرانها ، ويأتوا على كل جوانبها . واماها الشرع الشريف تأييدا وتأييدا ، واماها امداء مديدا ، بخلاف حال العربية العامية المستعملة اليوم ، فهي عرضة للتغيير والتبدل . فحال العربية في هذا الزمان ، مخالف لحالها في تلك الايام (420) كما ان حال أهلها الآن ، يختلف عن حال الاسلاف كمال الاختلاف .

الوجه الثاني : ان اللغة العامية لم تبلغ مبلغ لغة ثابتة في موادها ، ولا في هيات تراكيبها ، حتى يعول عليها ، وتوضع فيا العلوم والاداب ، وانما هي (425) تحريف لغة اخرى . ولهذا نرى التبديس والتغيير فيها ، كما ذكرنا ، لا ينقطع . وما ذكره من المثال غير صحيح ، ولن يصح : فان اللغة التليانية ، او الاغريقية الحديثة ، لغة استقرت ، وثبتت ، وصارت ملكة في الناطقين بها ، لا ينحرفون عنها ، كلهم متفقوا الكلمة فيها ، غير متوفرة (430) عندهم اسباب التغيير ، كما عندنا ، ولهذا بعثهم الباعث الطبيعي على اعتبارها مدار التخاطب ، في جميع المقاصد . وليست الحال عندنا كذلك . والفرق بيننا وبينهم ظاهر واضح ، لا نحتاج في بيانه الى الاسهاب والاطناب ، في هذا الباب ، وانما نلم به بعض الالهام (435) وندع ما وراء ذلك الى تدبر من ينعم النظر في مجاري الاحوال الطبيعية ، وترتب المسببات على الاسباب فنقول :

كانت أمة العرب ، قبل الاسلام منحصرة في بلادها ، غير منتشرة في آفاق الارض ( نريد انتشار الجاهير المجهرة ، والالوف المؤلفة ، للغلبة والاستيلاء (440) والفتوح ، لا انتشار الافراد والجماعات القليلة ، للتجارة ونحوها من الاسباب ، فان الثاني لا ينشأ عنه اثر ذو بال ، واهمية ، بخلاف الاول ) . ثم ظهر فيها الدين المبين الاسلامي ، وكثر وانتشر ، وقوى اهله ، وسارت الدعوة اليه ، على يد القائمين به ، (445) الناصرين له ، الناشرين

يكفينا لتعلم الفنون والقواعد لهذه اللغة العامية ، من نحو ورسم وغيرهما ، يكفينا لتعلم لغتنا العربية الصحيحة (385) ، ونربح وحدة اللغة ، وعدم حرماننا من الانتفاع بمؤلفات اسلافنا فوق الف سنة ، مع الانتصار على الضروري من تلك القواعد اللغوية ، بقدر ما يلزم لعامة الناس ، لا خاصتهم ، كما مر .

فان قال احد من اهل هذا المذهب : لا يلزم (390) وضع قواعد لهذه اللغة العامية ، لانها معروفة عند العامة والخاصة باستعمالها وتداولها في التكلم فيما بين اهلها . قلنا : لو كان الامر كذلك ، لما اضطرت كل امة من الامم المتقدمة الى وضع قواعد لضبط لغتها التي يتكلم بها كبيرهم وصغيرهم وفاضلهم (395) ومفضلهم مثل معرفة عامينا للغتنا العامية في الاقل ، ومع ذلك احتاجوا لوضع القواعد فيها ، حسبا لما ينشأ عن عدم وجود القواعد من الخلل والمناسد ، وقد بينا بعضه .

فان قالوا : ان الطريق الذي سلكه المتقدمون (400) في الاحاطة باللغة العربية الفصيحة ، وحصر موادها ، وضبط قواعد النطق بها ، نسلكه فيما نريد من ذلك للغة العامية . قلنا : كانت اللغة العربية وصلت الى حد الكمال ، واستقرت على حالة رسخت في الازهان ، وثبتت في القرائح ، واختلط اهلها من جميع اطراف (405) البلاد العربية ، حتى عرف كل منهم مجرى التخاطب عند الآخرين : فكان البدوي من اهل اليمن يخاطب الحضري من اهل الشام والعراق فلا يرتاب واحد منهما في لفظ مما ينطق به الآخر ، الا ان يكون لفظا من لغة اجنبية ، فعربه التوليد (410) وهو مما لا يلتفت اليه في لغة واسعة ، ثم انقرضت الطبقة التي كان يعتمد بلغتها ، ويستشهد بكلامها ، في اثبات مفردات اللغة وعلومها .

واستقرت لغة القوم على ما كانت عليه الى ذلك العهد ، لا تقبل تغييرا ولا تبديلا . ولهذا سهل على واضعي قوانينها (415) وحفاظ موادها ، ان يحيطوا

كلمته ، الى من جاورهم ومن قاربهم ، ومن بعدهم ، وغيرهم ، وتوالت على أيديهم الفتوح ، حتى انتشروا في مشارق الارض ومغاربها ، مؤيدين بالظفر ، ظافرين بالنصر ، واسلم معهم من اهل البلاد التي احتلوها من اسلم ، فصار منهم (450) وانتاد من لم يسلم ، فدخل في ذمتهم ، واتام في كل صقع ناس منهم ، للقيام بالامر ، وتقرير احكام الشرع ، وتعليم اصول الدين وفروعه ، وحفظ البلاد التي دخلت في يدهم من الخروج عن كلمتهم ، واختلطوا مع اهل تلك البلاد ، على حكم الضرورة ، في المعاشرة (455) والمحاورة ، وسائر ما تستتبعه المساكنة والمجاورة ، وامور المعاملة ، والتصق اهل تلك البلاد بهم ، واختلطوا معهم ، وتعلموا من لغتهم وعاداتهم ، وسرى من كل فريق منهم اشياء الى الآخر بحكم المخالطة ، وتوالي الايام والاعوام عليها . وانتقل ذلك الى الابناء بعد الاباء (460) ، والاحفاد بعد الاجداد ، الى ان صار اهل تلك البلاد التي دخلوها واستولوا عليها ، مزيجا مركبا ، صدق فيه ما قيل « نبط استعربوا (1) وعرب استنبطوا » ، وان يقال « عجم استعربوا وعرب استعجموا » . وثبتت اللغة العربية في البلاد التي كانت (465) تمكنت فيها تلك اللغة فضل تمكن ، كمصر ، مع ما طرا عليها من التحريف والتغيير ، وازداد بطننا بعد بطن ، وقرنا بعد قرن ، لا سيما بعد ان تقلصت ظلال دولة العرب ، وخلفهم على البلاد غيرهم من امم مختلفة ، واجناس من الناس متباينة (470) تداولتها ، واستولت عليها . كما انها دخلها ايضا ولا يزال يدخلها اخلاط من الامم ، للتوطن والاقامة ، كثير منهم موافق لاهل البلاد ، في اصل اللغة ، ومطلق التحريف ، مخالف لهم في كفيته ، فيأخذون مما عند الاهلين ، ويأخذ الاهلون مما عندهم . وهكذا صار وقوع التغيير (475) بهذه الاسباب طريقة

غير متغيرة ، عرفها من عرفها ، ولا ينكرها الا من جهل امرها .

فما ذكروه من المثال غير منطبق على الحال ، كما قلنا ، لامور كثيرة ، منها انك ترى الايطاليانيين ، مثلا ، اذا دخل عندهم رجل من امة اخرى ، للاقامة بينهم (480) فلفته غير لغتهم ، فهو اذا خاطبهم او كاتبهم ، فاما ان يخاطبهم ويكتبهم بلغته ، وهو نادر مع من يعرفها ، او بلغتهم المبينة للغته ، فلا يحصل من التداخل في الحالين بقدر ما عندنا . اما نحن فاذا دخل عندنا السوري ، او المغربي ، مثلا ، فاصل لغتنا ولغته واحد (485) ، ولكنه عنده تحريف ، وعندنا تحريف آخر ، فيقع التداخل والتبادل ، الى غير ذلك مما قدمناه ، كما يعلم بالتأمل وصحة النظر . فظهر ان المثال غير واقع موقعه ، والقياس غير مصادف محله ، ولا يقاس المثل الاعلى المثل ، ولا يصح القياس الا عند عدم الفارق (والفرق مثل الصبح ظاهرا) . (490) ثم ان من تتبع احوال اللغة العامية المستعملة عندنا وجد انها كما تختلف باختلاف الازمنة ، تختلف ايضا باختلاف الاشخاص والامكنة ، فانك تراها ترتقي الى القرب من موافقة اللغة الفصحى عند اهل العلم ، وعند البعض ممن يخالطون العلماء (495) . وفي البلاد التي تنتشر فيها الجرائد . وكما انك ترى هذه اللغة عند هؤلاء ترتقي الى هذه الدرجة ، تراها تسفل وتنحط عن الفصحى ، عند من لا يعرفون سواها ، ولا حركة للسان الجرائد فيها بينهم . وتتغير هيئات المواد ، وصيغها ، وهيئات تراكييبها . بحسب (500) اختلاف الاشخاص ومراتبهم في المعرفة ، بلا تكلف لذلك ، ولا قصد اليه . وتجد لفظا له هيئة ثابتة عند العامة ، بحيث لو غيرت تلك الهيئة لعد لحنا عندهم وغلطا .

( 1 ) النبط بفتحين والنيبط قوم ينزلون بالبطائح ( ٢ ) والعجم خلاف العرب .  
( آ ) « البطائح » في النسخة الاصلية .



فكيف ، ومن اين يتأنى التحكم على الناس بالمنع (565) والالزام ، في شيء من الكلام ، في المحاوراة والمحادثة ، بين افرادهم ، ومع اهلهم ، وأولادهم ، وعائلاتهم ، وقراباتهم ، وصحابتهم ، وسائر ذوي تعلقاتهم ، وفي خلواتهم ، وجلواتهم ، ومزارعهم ، ومصانعهم ، ومحال حرمهم وصنائعهم (1) ، حتى تصير القاعدة عامة ، والفائدة تامة ؟ هذا ضرب (570) من المحال ، وأمر انما يتصور في الوهم والخيال ، لا يخرج من القوة الى الفعل ، ومن القول الى العمل .

والغرض الذي يقصدونه في تسهيل العلوم ، لا يزال مفقودا في جميع الاحوال . فان لسان العامي ليس تحت سلطة الواضع ، ولا سبيل لتقويته الا التربية والتثقيف . فان كان الواضع نفسه ساعيا في ترويض التحريف ، واللسان مندفع اليه ، فلا ممسك له عنه ، ولا تكون لغة النطق هي لغة الكتابة ، ويعود الاشكال بعينه . فلا بد لتسهيل التحصيل وتعميم التعليم من صرف النظر الى شيء آخر .

(580) الوجه الثالث ، ان اللغة العامية جلية مواد اختزلت من اللغة الفصيحة ، واضيف اليها بعض الفاظ اجنبية ، من لغات الاقوام الذين دخلوا في اللغة ، ولم يستطيعوا للحاق بأهلها . وانما حفظ منها ما اشتدت اليه حاجة المتكلمين بها ، للتفاهم في الاغراض المعاشية (585) الظاهرة . اما العلوم والآداب ، فلم يكن لهذه اللغة حظ منها . فلو اردنا نقل العلوم اليها ، لكننا في حاجة شديدة الى استعارة المواد من اللغة الفصيحة ، وصوغها في تراكيب تناسبها ، حتى تتم الفائدة . فان لم نفعل ، احتجنا الى وضع لغة جديدة للعلوم والآداب ، نضمها (590) الى اللغة العامية الموجودة ، ونسمي المجموع لغة عربية عامية ، تحاكي لغتي الايطاليين والاغريقيين الحديثين . وانا نجد بعض الكتب التي ترجمت ، او الفت ، في سوريا ، وفي مصر ، بعبارة تقرب من العامية ، لعجز المترجمين لها عن

استعمال الفصيحة في المفردات والتراكيب ، بمد صار بمنزلة (595) الموجود في لغة اجنبية ، ولا يجد المطالع سبيلا الى فهمه الا بالاستفهام من مترجمه ، او مؤلفه . فاللغة العامية لغة قاصرة ، ولا سعة فيها للعلوم ، ولا للشرائع ، ولا للآداب ، ولا للسياسة ، فكيف يمكن الاستغناء بها عن اللغة الفصيحة ؟

(600) ولو اردنا الاطالة في ابطال هذا الرأي ، وايضاح الفساد في مقدماته ، لاتينا بتفصيل يحويه سفر طويل ، وغرضنا الآن عجالة تثبت رأينا ، فان دعا داع للتفصيل ، واستيفاء الأدلة ، والاكتار من الامثلة ، رجونا ان نفى بالغرض من ذلك .

(605) والذي نراه : ان اللغة العامية ، خصوصا في مصر وسورية وجزيرة العرب والعراق وتونس وطرابلس الغرب ، لم تبعد عن الفصيحة بما تصير به لغة مستقلة . فان المواد هي المواد الاصلية بعينها ، الا ما زاد عليها ، وهو قليل لا يلتفت اليه ، في تكوين لغة . وهيئات التراكيب (610) ترجع الى الهيئات المعروفة في تركيب الكلام العربي . غير انه قد عرض على المفردات تحريف وتغيير ، ينقص او زيادة ، لم يخف بها اصل اللفظ بحيث لو جرد اللفظ من الزيادة ، او كمل من النقص ، او صحح من التحريف ، لم يستبهم معناه على العامي . فان العامي الذي يضع ( اللي ) مكان ( الذي والتي ) فيقول (615) : ( اللي يفعل الخير ينال ثوابه ) ، لو قيل له بدل هذه العبارة ( الذي يفعل الخير ينال ثوابه ) ، لفهمه كما يفهم لفظ العامي . ولا يزال الكثير من العامة يضع «الذي» مكان « اللي » ، فيستعمل عاميته مع الفصيحة كأنه مخير فيهما ، كاللفظين المترادفين ، ولفظ « هنا » بكسر الهاء (620) ، لا تختلف عن « هنا » ، بضمها ، الا بالحركة ، ولا ينقلب معناها عند العامي ، لو نطقت صحيحة . وهذا هو الشأن في جميع الالفاظ المفردة . وعلى نحوه يكون الخطأ في التراكيب : فان الذي يفهم

( الرجل جه ) يفهم ( جاء الرجل ) ، والذي يفهم ( ما عليهش ) يفهم ( ما عليه شيء ) (625) والذي يفهم ( ايه ده ) أو ( شوهادا ) ، من مصري أو سوري ، يفهم ( ما هذا ) و ( اي شيء هذا ) ، وما شابه ذلك من الاستعمال الفصيح . وقد تقدم شيء من هذا ، في مقارنة اللغات العامية : فالتحريف وفساد التركيب لم يذهب بالعامية عن فهم الصحيح بالمرّة ، بل هم يفهمون (630) منه ما اتفق مع الفاظهم في المادة ، وإنما يعنى عليهم فهم الغريب .

وأما قول ارباب ذلك المذهب : « لو فرض ان أتى الى جهة يتكلم أهلها باللغة العامية المستعملة الآن من لا يعرف الا اللغة الفصيحة لم يمكن ان يفهموا (635) منه أو يفهم منهم الخ (1) فمما يخالف العيان والمشاهدة : فطالما شوهد كثير ممن يأتون الى مصر يتكلمون بالعربية الصحيحة ، مثل بعض الجراكسة الذين لم يتعلموا من العربية الا الفصحى ، وليس لهم كتابة الا بها ، ويمض المغاربة من أهل فلاتة وغيرهم ، فيتكلمون باللغة (640) العربية الصحيحة ، فيتضون ما ربهم . ومن أعضاء هذا المؤتمر الحبر ، العلامة ، الشيخ محمد محمود الشنتيبي : سمعناه يتكلم في مصر باللغة الصحيحة فيفهم غيره ويفهم من غيره . وجاء من أهل سقطو الشيخ عثمان ابن جم ، ولم يتكلم الا بها ، وكان يفهم ويفهم ، حتى اعتاد (645) بعض العامة على التكلم معه باللغة الصحيحة ، من كثرة المخالطة ، وامثال هذا كثير . وكان العلماء لا يتكلمون الا باللغة الفصيحة ، ولم يكن بينهم وبين العامة ترجمان . وأما ما يحكى عن بعض العلماء ، من أنه كان يسكن في بعض الاماكن المعروفة في مصر بالوكايل ، فقال للبواب ذات (650) ليلة ، يأمره بفتح الباب : ( « فتحا بواب » ) ، مصدر مؤكد لعامله المحذوف الخ ) ، فلم يفهم منه البواب ، وظنه

( 1 ) ر : السطر 5 - 10 .

يشتمه ، وشكاه في صبيحة الليلة الى شيخ الجامع ، زمن العلامة الشيخ التويني ، فما دهي الا من التثديق في الكلام ، ولو اقتصر على ان قال : ( افتح ) لفهمه (655) البواب بالسهولة ، ووافق العامي ولفظ القرآن ، وفهمه كل من سمعه من العامة ، بلا أدنى صعوبة .

وكيف لا يكون ما نقول ، وجميعهم يحفظون شيئاً من القرآن الكريم ، يتلونه في صلواتهم ، والغالب منهم يضم الى ذلك شيئاً من الادعية ، والاوراد وشيئاً من الحديث (660) ، يستشهد به ، ثم هم في كل يوم جمعة يسمعون الخطبة باللغة الفصيحة ، وما من سامع منهم الا تظهر عليه علامة الفهم ، بما يظهر على وجهه ، وفي حركات بدنه ، ثم هم يسمعون الوعاظ في المساجد ، والكثير منهم يحضرون في دروس العلم ، فهم وان لم يحسنوا النطق في كلامهم جملة ، فهم يفهمون (665) ، اللهم الا ما كان من الغريب أو معقد التركيب .

وفساد النطق ليس من الملكات التي يلحق محوها بالمستحيلات ، كما يزعمون ، بل ازالته أسير من جعل اللغة العامية مستقلة ، يتفاهم بها في العلوم والآداب ، وتوضع لها القواعد ، وتؤسس لها القوانين وما (670) على طالب ذلك الا تعميم التعليم ، والزام المتعلم بتقويم لسانه عند النطق ، وتصحيح عبارته عند الكتابة ، من مبدأ التعليم الى نهايته . فان المواد لا اختلاف فيها ، الا بنوع من التحريف ، كما قلنا . وهيئات التأليف لا فساد فيها ، الا بنوع من سوء الترتيب . فاصلاح ذلك لا يزيد على (675) اصلاح لغة الطفل اذ ينطق بها ، وهو في سن السنتين ، او الثلاث ، محرفة ، سيئة التأليف ، ثم لا يزال يصلحها له المصلحون ، حتى يكون كأحدهم ، وهو في الخامسة ، او السادسة من عمره ، وأما ما يروونه من صعوبة المسالك الى

تحصيل العربية الصحيحة ، وتعسر نيلها في الأزمان (680) الطويلة ، فذلك لا نراه إلا من اعوجاج طرق التعليم ، وفساد مذاهب بعض المعلمين فيه ، لا من بعد اللغة نفسها عن يد المتناول .

فالذي نراه لتسهيل العلوم على العامة ، ان نصلح لغتهم بالتقويم ، على النحو الذي قلناه ، ثم تكتب الكتب (685) في الآداب العامة والفنون الابتدائية التي يجب تميمها ونشرها بين أفراد الأمة كائنة ، باللغة الفصيحة ، على شريطة ان لا يخرج الكاتب عن المفردات المستعملة في لغة العامة ، فيجوع في تلك الكتب بين موافقة الاستعمال والصحة : فاذا اراد ان يقول ( مغلوق ) ، مثلا ، فلا يقول ( مرتج ) لانها (690) بعيدة عن الاستعمال العامي ، وقد مر شيء من ذلك ، ولا يقول أيضا ( مقنول ) ، من اتفل ، بل يقول منه ( مقفل ) ، ولا ( مفلوق ) أيضا ، فانها رديئة متروكة والفصيح ( مغلوق ) . فاذا كان المعنى لا لفظ له فيما يقول العامة ، فيأتي بلفظ عربي ، ثم يفسره بما يوضح معناه ، ان لم يكن (695) معروفا ، وما دخل في اللغة العامية من الالفاظ الأجنبية يمكن طرحه منها ، واستبداله بأفضل منه من اللغة العربية . والاحسن ، والاترب للاعتدال والاعتداد ، أن يكون هذا بمعرفة جمعية علمية تتألف من مشاهير الأفاضل ، كما ذكره سيدي الاستاذ الوالد في آخر كتابه (700) الذي ألفه في المقارنة بين الوارد في نصوص الشرع والوارد في الهيئة . فانه اذا كان اختيار اللفظ بمعرفة من يوثق بهم ، ويعتمد بحسن اختيارهم ، توكل بالقبول ، وتناوله الاستعمال . ومتى استعمل عند بعض القوم سار في البقية ، وتمكن في لغة الكافة ، (705) كما نراه في لفظ ( اللجئة ) و ( المؤتمر ) ، مثلا ، فانها قبل عشرين سنة ، لم يكونا معروفين في معناها ، الا عند البعض من أهل العلم خاصة ، وقد صار ، من بعد استعمال صاحب الجوائب لهما ، واتباع أصحاب الجرائد له على ذلك ، من الالفاظ العامية التي لا يخفى (710)

مفهومها على أحد . هذا في المفردات ، اما هيئات التراكيب ، فتكون على اقرب ما يمكن من تأليف العامة ، على شرط الصحة والفساحة . ثم بعد ذلك ، ينظر في اللغة الفصيحة ، ويجلب منها ما يحتاج اليه في التعبير عن المعاني التي لا لفظ لها على السنة العامة في أنواع الفنون (715) والآداب ، لمن يبتغي الارتقاء فيها الى أقصى غاياتها ، فتكون سعة لغة الشخص على قدر سعة علومه ومعارفه . اما البلغاء والفضلاء ، وأهل الطبقة العليا ، في الكلام ، فلمهم في خطاب بعضهم بعضا ما لا يكون لغيرهم ، ولا يجب على أحدهم ان يجتنب من الالفاظ وصور التراكيب (720) الا ما ينكر عند علماء المعاني والبيان ، وأهل الذوق من حفظة اللسان . بل ربما حسن لاهل تلك الطبقة في البليغ من النظم والنثر ، والترفع عما لا تلجئ اليه الحاجة من الالفاظ المبتذلة العامية السوقية ، وان كانت صحيحة ، حيث لا يقصدون مخاطبة العامة (725) حتى عيب على بعض البلغاء استعمال بعض الالفاظ المبتذلة . اما في مخاطبة العامي ، فيجمل بهم ان ينزلوا الى الطبقة التي يفهمونه بها ، فانهم يمكنهم ان ينزلوا إليه وهو لا يمكنه ان يصعد اليهم ، وبهذا تمتاز طبقة العامة عن طبقة الفضلاء البلغاء ، مع اتحاد اللغة (730) وسهولة الفهم على أهل كل طبقة فيما يلائم حالها .

فمن كانت له همة تسوقه الى اصلاح في علوم العرب ولغتهم ، رجونا له النجاح ، اذا انعم النظر في الطريقة التي ذكرناها ، وتكميلها ، وتعديل طريقته التعليم وتسهيلها ، حتى تكون اقرب الطرق للتوصل (735) الى المقصود ، من نشر العلوم وتعميمها ، مع بقاء الوحدة في اللسان ، وانتفاع المصري بكتاب السوري ، والسوري بكتاب المصري ، وكليهما بكتاب المغربي ، وهلم جرا ، واستفادة كل عربي مما يكتب الآخر ، في أي قطر ، لان المواد على هذا لا تختلف (740) عما هو موجود في كتب اللغة المحفوظة عند

جميع أهل اللسان ، فما استبهم من الالفاظ سهل  
مراجعة المعجمات لفهم معناه .

ومن طرق التعديل والتسهيل والاصلاح ، التي  
اشرنا اليها ، الامتناع للمتعلّم على اللازم الضروري  
(745) دون سواه ، في غير الفن الذي هو بصدد ان  
يتخذ صناعة له ، وحرفة خاصة يستعين بها على  
معيشته ، وانتفاعه من وطنه ، وانتفاع وطنه منه ،  
مع كمال الاعتناء بمزيد تمكينه في ذلك اللازم ، بزيادة  
التمرين على الاستعمال ، وتطبيق العلم على العمل ،  
ثم مساعدة (750) التعمّل (1) بالنظر والمشاهدة فيما  
يستدعيه ذلك ، مثل الطبيعة والكيمياء . وليتقن ما لم  
يقبل ، فقليل يتقنه المتعلم ويتمكن فيه حتى يصير  
ملكة راسخة ، خير جدا من كثير يحفظه عن ظهر قلبه ،  
من غير ان يعرف له معنى ، ويعيده على وجه ما سمعه  
كما يقول (755) البيهقي . واللازم الضروري من علم  
العربية ، لكل ذي حرفة سواه ، ليس بكثير يعطل عن  
غيره لغاية ان يختار من أجل ذلك ترك العربية  
الصحيحة بالكلية ، بل هو ربما لا يزيد عن قواعد اللغة  
العامة ، لو اريد ان يجعل لها علوم وقواعد ، كما يراه  
من يذهب (760) ذلك المذهب ، اذا اتى الامر عن بابه  
وسهل سبيله ، وأزيل وعره . وما أوهم العسر ،  
وهول الامر ، الا ما قد يكون من ركوب التعاسيف في  
التعليم ، وعدم الاعتناء برعاية ما تتأكد رعايته ، من  
معاملة كل صنف من المتعلمين بما يليق به ويناسبه ،  
(765) بالنظر الى ما هو معدله . فاذا اعتنى بذلك ،  
سهل الامر ، ولم يبق بنا ادنى حاجة لتترك لفتننا  
الجامعة لاشتاتنا ، الموروثة عن اسلافنا .

ثم في هذه الطريقة التي اخترناها ما يحفظ على  
العرب آدابهم وعلومهم التي اودعتها كتب الاقدمين  
(770) . فان العالمي متى تقوم لسانه ، كما يقوم لسان  
الصبي ، على ما قلنا ، وكتبت له الكتب القيمة بالعبارة  
السهلة ، واستنار عقله بما اودعته من الآداب والافكار  
الصحيحة ، رايته على مقربة من اللغة الفصيحة ، لا  
يبعد عنه تناول ما فيها ، فلا يحرم من تاريخ (775) أمته  
ولا من أصول شريعته ، ولا الآداب المودعة في السنة  
النبوية ، ولا من الفوائد الجمة المطوية في الاخبار  
العربية . كل هذا يكون قريبا من العرب جميعا ، اذا  
سلك بهم تلك الطريق القويمة ، ولا يحتاجون في علم  
ذلك الى العناء الشديد في نقل جميع (780) علومهم ،  
المودعة في كتب لغتهم ، الى تلك اللغة الاخرى ، التي  
ظنها من ظن ، لغة جديدة ، لا سبيل لانتشار العلم الا  
باعتبارها كذلك .

وأخر الكلام ان اللغة العربية الفصيحة هي  
سبيل تقدم العرب في جميع احوالهم . فان وجدت (785)  
الناصر ، وانبعث الى العمل من وجهه ، اشرفت على  
العرب انوار العرفان من مطالع لغتهم الشريفة ،  
وأضاء عليهم من سناها ما أضاء على امم العالم  
اجمعين ، عدة قرون ، لم يخف علم حالها على الناظر  
فيها .

والله أعلم

تم بقلم كاتبه محمد ريحان في 12 صفر الخير  
1307 هجرية ! (2)

1 « التعمّل » بمعنى « ملازمة المكان » لا تفى بالفرض المعنى هنا وربما كان قصد الكتاب « التعمّل » .  
2 الموافق 9 اكتوبر ، تشرين الاول ، 1889 م .